﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢﴾ [البقرة: 122]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا ذكر الله تعالى في الآيات السّابقة بعض نعمه على اليهود والنصارى، وكانوا يقابلونها بالكفر والعناد، ويأتون منكراتٍ في الأقوال والأعمال، أعاد التذكير بجملةٍ من نعمه التي أنعم بها على بني إسرائيل مرةً ثانية؛ ليحذروا المخالفة فيما أُمروا به من شكر النِّعم والوفاء بالعهود.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: اسم أعجمي، وما كان كذلك، فلا تنطبق عليه حدود الصَّرْف العربي، إلَّا أنَّ ابن منظور من بين المعجميِّين جعل له جذرًا: هو (سرأل) فقال: "إِسْرَائِيلُ وإِسْرائينُ: زَعَمَ يعقوب أَنّه بدل اسم مَلَكٍ"[1].

وقيل: إنَّ كلمة اسرائيل هي لقب ليعقوب أبي يوسف عليه السلام، "مَعْنَاهُ: عبد الله؛ لِأَنَّ (إيل) اسْم من أَسمَاء الله بالسُّرْيَانيَّة؛ وَقيل: صفوة الله، وَقيل: سرُّ الله"[2]، فيما جعله السهيليُّ اسمًا ليعقوب، وليس لقبًا[3].

وذكر الزَّبيدي في شأنه: "وإِسْرَالُ: يأْتي فِي حَرْفِ اللّام، وَلم يَذْكُرْهُ هُنَاكَ سَهْواً مِنْهُ، وَهُوَ مخفَّفٌ عَن إِسرائيلَ، وَمَعْنَاهُ صَفْوَةُ اللهِ، وَقيل: عبدُ اللَّهِ"[4].

وقوله: يا بني إسرائيل هنا، وفي جميع القرآن "خطاب لذرية يعقوب، وفي ذرِّيَّته انحصر سائر الأمَّة اليهودية، وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: يا أيُّها اليهود؛ لكونه هو اسم القبيلة، أمَّا اليهود؛ فهو اسم النِّحْلة والديانة"[5].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (سرأل).
(2) الكفوي، الكليات، ص: 216.
(3) السهيلي، الروض الأنف: 1/87.
(4) الزبيدي، تاج العروس: (سرأل).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/449.

2) ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾: فعل أمر مسند لواو الجماعة، وأصل أحرفه: (ذكر)، و"الذِّكر بالكسر له معنيان: أَحدهما: التَّلَفُّظ بالشَّيء، والثَّاني: إِحضاره في الذِّهن بحيث لا يغيب عنه"[1]، وهو نقيض النِّسيان، وقد وردت كلمة (الذِّكر) كثيرًا في القرآن الكريم، وكان لها معانٍ متعددة بحسب السياق الواردة فيه، فقد يكون ذكر القلب، وقد يكون ذكر اللسان، وقد يكون بمعنى: الصلاة، أو البيان أو الحديث أو الشرف أو اللوح المحفوظ أو غيره[2].

والمراد بذكر النعمة في الآية: "أن لا يُخِلّوا بشكرها، ويعتدُّوا بها، ويستعظموها، ويطيعوا مانحها، وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدّد عليهم"[3].

3) ﴿نِعۡمَتِيَ﴾: نعمة، مضاف لياء المتكلم سبحانه وتعالى، وهو اسم، وجذره اللغوي (نعم)، وفروعه كثيرة في لغة العرب، وهي "راجعةٌ إلى أَصلٍ واحدٍ يدلُّ على ترفُّهٍ وطيبِ عيشٍ وصلاحٍ، منهُ النِّعمةُ ما ينعمُ اللَّه تعالى على عبدهِ بهِ منْ مالٍ وعيشٍ، يقالُ: للَّهِ تعالى عليهِ نعمةٌ، والنّعْمةُ المنَّةُ، وكذا النَّعماءُ، والنَّعمةُ التَّنَعُّمُ وطيب العيشِ"[4].

والمعنى المحوري للنعمة: "رِقَّة الشيء، أو ليونته وخلوُّه من الغِلَظ والخشونة: كباطن القدم بالنسبة لغِلَظ ظاهره"[5].

و"النِّعْمَةُ: الحالةُ الحسنةُ، وبِنَاء النِّعْمَة بِناء الحالةِ التي يكون عليها الإنسان، كالجِلْسَة والرِّكْبَة، والنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ ... والنِّعْمَةُ للجِنْسِ: تقال للقليلِ والكثيرِ"[6]، "والنعمة هنا: اسم جنس، فهي مفردة بمعنى: الجمع"[7].

ومعنى ذكر النِّعم في الآية: "اذكروا أياديَّ لديكم، وصنائعي عندكم، واستنقاذي إياكم من أيدي عدوِّكم فرعون وقومه، وإنزالي عليكم المنَّ والسلوى في تيهكم، وتمكيني لكم في البلاد"[8].

4) ﴿فَضَّلۡتُكُمۡ﴾: فعل ماضٍ مزيد بالتضعيف، زنة (فعّل)، الجذر اللغوي له (فضل)،

(1) الكفويّ، الكليات، ص: 456.
(2) الكفويّ، الكليات، ص: 457.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/258.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نعم).
(6) الراغب، المفردات: (نعم).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/7.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 2/573.

وله "أصل صحيح يدلُّ على زيادةٍ في شيء، من ذلك الفضل: الزيادة والخير، والإفضال: الإحسان"[1].

ومعنى الفضل: "الزّيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العِلْم والحِلْم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفَضْلُ في المحمود أكثر استعمالاً"[2]، والفضل بمعنى: الزيادة قد يكون حسّيًّا، وقد يكون معنويًّا، فقوله في الآية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، "أي: عالمي زمانهم، أو بما جعل فيهم من الأنبياء، أقول: فهو تفضيل نِسْبِيٌّ أو في أمر خاصٍّ"[3].

وذكر في الآية: "تَفْضِيلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ بِمَحْضِ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَالتَّفْضِيلُ هُوَ مَنَاطُ الْأَخْذِ بِالْفَضَائِلِ وَتَرْكِ الرَّذَائِلِ"[4].

5) ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: اسم، مفرده (عالَم)، الجذر اللغوي للكلمة (علم)، أمّا الأصل اللغوي لهذا الجذر؛ فدلالته "علَى أَثَرٍ بالشّيءِ يتميّزُ بهِ من غيرِهِ، منْ ذلكَ العلامةُ"[5] والعلم ضدُّ الجهل، وعالم هو من صفاته تعالى، مشتقٌّ من العلم "وأصل العلم إدراك الشيء على حقيقته، وهو معرفة الشيء على ما هو عليه"[6].

ومن هذا الجذر أو الباب "العالَمون، وذلك أنَّ كلَّ جنس من الخلق، فهو في نفسه مَعْلَمٌ وعَلَم، وقال قوم: العالم سمّي لاجتماعه"[7].

"العالَم: الخَلْق كلّه، أي: أن معناه هو جميع المخلوقات، قالوا: ولا واحد للعالم من لفظه؛ لأنَّ (عالمًا) جمعُ أشياء مختلفة"[8].

ومعنى العالَمين في الآية: "أراد عالمي زمانهم، وقيل: أراد فضلاء زمانهم الذين يجري كلُّ واحد منهم مجرى كلّ عالم؛ لما أعطاهم ومكّنهم منه"[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(2) الراغب، المفردات: (فضل).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فضل).
(4) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/252.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (علم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علم).
(9) الراغب، المفردات: (علم).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

نداءٌ لبني إسرائيل يتوفر على موعظة بليغة بتنبيههم أنه تعالى قد أنعم نِعَمًا كثيرةً "على آبائهم بإنقاذهم من أيدي عدوِّهم، وإنزاله المنَّ والسَّلْوى عليهم، وتمكينِه لهم في البلاد بعد أن كانوا أذلَّاء مقهورين، وإرسالِه الرُّسلَ منهم، وتفضيلهم على غيرهم ممَّن كانوا بين ظهرانَيْهم"[1].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سرُّ خِطابِ اليهودِ ببني إسرائيلَ دونَ بني يعقوبَ:

اختيارُ الألقابِ في القرآنِ قائمٌ على بناءِ القِيَمِ الهدائيَّةِ

جاءَ خطابُ اليهودِ في القرآنِ كلِّه ببني إسرائيل وهو خطابٌ لليهودِ "الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب عليه السلام في أيَّام محمَّدٍ ﷺ"[2]، ولسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ ذلكم النِّداء، دون أن يكونَ ببني يعقوب ولو لمرَّةٍ واحدة؟ ونكتةُ ذلك؛ "أنَّهم خُوطبوا بعبادةِ اللهِ، وذُكّروا بدين أسلافهم موعظةً لهم، وتنبيهًا من غفلتهم، فسُمّوا بالاسم الذي فيه تذكرة باللهِ"[3]، إذْ إنَّ إسرائيلَ هو لقبُ يعقوبَ عليه السلام، "ومعناه في لسانهم: صفوة اللَّه، وقيل: عبد اللَّه"[4]، ففيه إلهابٌ وتهييجٌ "بِذِكْرِ أبيهم إسرائيل، كأنّه قيل: يا بني العبد الصالح المطيع للّه، كونوا مثلَ أبيكم، كما تقول: يا ابْن الكريم، افعل كذا، ويا ابْن العالم، اطلب العلم"[5]، وفيه إشعارٌ بأصلهم التَّاريخيِّ.

سببُ خطابِ اليهودِ المعاصرين بإنزال النِّعَمِ عليهم:

الأبناءُ امتدادٌ للآباءِ

امتنَّ اللّه على اليهود المعاصرين بالنِّعَم التي أنزلَها عليهم، مع أنَّها نزلتْ على آبائهم، وعلى رأسِها التَّوراةُ؛ لانتهاءِ النِّعَمِ إليهم

(1) المراغي، تفسير المراغي: 1/207.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 3/21.
(3) السيوطي، معترك الأقران: 2/6.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/256-257.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 1/114.

فلولا هذه النِّعم على آبائِهم؛ لما كانوا موجودين، وبذلك تكون النِّعمُ على الآباء نِعَمًا على الأبناء، وفي ذلك ترغيبٌ للأبناءِ في اتِّباع الآباء في أفعال الخير، وفي هذا دعوةٌ لهم للإيمان بالنَّبيِّ ﷺ.

فائِدةُ تعدّي الفعلِ (أنْعَمَ) بحرفِ الاستعلاء:

تعدَّى فعلُ (أنْعَمَ) بحرف الجرّ (على) للدّلالة على عُلوِّ مصدرِ النِّعمةِ، وكثرة النِّعم وعدم انقطاعها؛ لأنّ الإنسانَ مجبولٌ على حبِّ النِّعمة ودوامها؛ فإذا ما علم أنّ مصدرَها اللّه سبحانه وتعالى؛ أمِنَ قلبُه، واطمأنَّت نفسه.

بلاغةُ التَّجريدِ في عطفِ الخاصِّ على العامِّ:

قولُه تعالَى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المقصودُ به التَّفضيل على عالمي زمانِهم[1]، وهو مَعْطُوفٌ على ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ من بابِ "عطْفِ الخاصِّ على العامِّ، وهو ممَّا انفردت به الواو ... ويسمّى هذا النَّحو من العطفِ بالتَّجريد؛ كأنّه جرَّد المعطوف من الجملة، وأُفرد بالذِّكر اعتناءً به"[2].

(1) الإسكافي، درَّة التنزيل: 1/461.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/252.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»